خاتمة الباب الثاني

يمكن تلخيص هذا الباب بالقول إنّ مميز التأنيث «التاء»، سواء أكانت مربوطة وما قبلها مفتوح، أم مفتوحة وما قبلها ساكن، وسواء اعتبرنا «التاءين»؛ المربوطة والمفتوحة، من أصل واحد، وأن إحداهما قد تطورت، في مرحلة موغلة في القدم، عن الثانية، أم أن كلّ واحدة منهما جاءت مستقلة عن الأخرى... فالتاء، بنوعيها، هي مميز التأنيث الذي أخذت به اللغة العربية منذ القدم... وكان مقدّراً لهذا المميز أن يكون مميز التأنيث الوحيد، في اللغة العربية، لولا تدخل النحاة الذين خلطوا بين اللهجات وبين اللغة الواحدة، وخلطوا بين مستويات اللغة الواحدة، فجاءت «قواعدهم» مشوّشة، مضطربة، متناقضة، أحياناً، لتدلّ على قصورهم من جهة، وعلى وقوفهم في وجه تطوّر اللغة من جهة ثانية.

وكشف هذا الباب حقيقة علمية ثانية تنحصر في القول إنّ الدراسة اللغوية الصحيحة يجب أن تعالج هذا الموضوع في **اللغة المسموعة**، كما نطق بها أصحابها، وفي لهجاتها المتعددة، لا كما فرضها النحاة واللغويون في «اللغة المكتوبة»، وكما تخيّلوا أنّها تكتب...